لعنة وعي

مقدمة : لعنة وعي.

بعض الناس لا تنهار حياتهم دفعة واحدة.
بل تتآكل بصمت... كجدارٍ رطب يبدو ثابتًا من الخارج، بينما ينخره الداخل حبةً بعد حبة.
هذه ليست حكاية "ولد سيّئ" اختار الطريق الخطأ، ولا قصة مراهقٍ كسرته خيبة حب.
هذه حكاية عقلٍ استيقظ مبكرًا أكثر مما يجب، وقلبٍ تعلّم الألم قبل أن يفهم معناه، وروحٍ لم تجد فرقًا واضحًا بين النجاة والهروب، بين المرض والذنب، بين الصمت والانهيار.

اسمه أحمد.

في السادسة عشرة، كان يفترض أن يحمل حياةً بسيطة: مدرسة، ضحكة، وأحلامًا مؤجلة.
لكن بعض الأعمار لا تعيش عمرها... بل تُدفع إلى عتمةٍ لا تناسبها.
وأسوأ ما قد يحدث للإنسان... ليس أن يضيع.
بل أن يظل واعيًا وهو يضيع.

الفصل الأول:

ما قبل التصدّع
كان أحمد من النوع الذي لا يلفت الانتباه ولا يثير القلق.
هادئ، مرتب، ذكي بما يكفي ليُقال عنه "واعد."
في البيت: ليس ملاكًا، لكنه ليس مشكلة.
وفي الشارع: يمشي كمن يعرف حدوده جيدًا.
لكن الداخل… لم يكن ثابتًا كما يبدو.
هناك دائمًا لحظة خفية يبدأ فيها الإنسان بالسؤال:
"ماذا لو كنت شخصًا آخر؟"
وهذا السؤال لم يكن فكرة.
كان أول شرخ.

الفصل الثاني:

الانزلاق

تعرف على مجموعة لا تشبهه.
أصوات أعلى، ضحك بلا حساب، حياة تمشي بلا خوف من العواقب.
لم يكن يريد أن يكون مثلهم...
لكنه كان متعبًا من كونه "الجيد" طوال الوقت.
شيئًا فشيئًا، تغيّر.

ليس فجأة... بل ببطء لا يُلاحظ:
لغة، سلوك، نظرة، ثم نسخة جديدة منه لا تشبه الأولى.
وأخطر أنواع السقوط...
هو الذي لا تسمع له صوتًا.

الفصل الثالث:

الخيبة

ظهرت هي.
لم تكن مجرد فتاة... بل فكرة عن النجاة.
تعلّق بها كغريق يتشبث بأي خشبة.
لكنه لم يكن يحبها... بل يحب الصورة التي تخيّلها عنها.
ثم ذهبت لغيره.
لم تكن المشكلة في الخسارة...
بل في ما انكسر داخله بعدها: صورته عن نفسه.
ومن هناك بدأ الصوت.
"أنت فاشل".

الفصل الرابع:

الصوت

في البداية كان أثر خيبة.

ثم صار عادة.

ثم صار يقينًا مزيفًا يسكن رأسه.

في الليل يسمعه.

في المرآة يسمعه.

في الصمت يسمعه.

لم يعد يعرف:

هل هذا تفكيره... أم شيءٌ تسلّل إليه وأصبح هو؟

الفصل الخامس:

البيت الذي لا يرى

لاحظت العائلة التغيّر... لكن لم تفهمه.

يرون العصبية ولا يرون الخوف.

يرون الانسحاب ولا يرون الغرق.

كل حديث يتحول إلى مواجهة.

وكل نصيحة تتحول إلى اتهام.

فصار البيت مكانًا يضغط عليه بدل أن يحتضنه.

والصمت... بدأ يأكل كل شيء.

الفصل السادس:

التمزق الداخلي

أيام يرتفع فيها بلا سبب.
وأيام ينهار فيها بلا تفسير.
لم يعد يعرف أين يقف من نفسه.
يحب الناس ثم يبتعد عنهم.
يحتاجهم ثم يخافهم.
وصوته الداخلي لم يعد مجرد نقد...
بل صار حكمًا مستمرًا لا يتوقف:
"لن تعود كما كنت".

الفصل السابع:

الخط الأحمر

حين يختلط الضعف بالحاجة... تتشوه القرارات.
فعل شيئًا لم يكن يتخيله يومًا.
لم يشعر بالانتصار...
بل بشيء ينكسر نهائيًا داخله.
ليس الذنب وحده...
بل المعرفة أنه أصبح قادرًا على أن يكون شخصًا لا يشبهه.

<u>الفصل الثامن:</u>

حسام

لم يأتِ كمنقذ.

بل كصمتٍ يفهم.

استمع دون أن يحاكم.

وهذا وحده كان كافيًا ليجعل أحمد يتكلم لأول مرة دون قناع.

ليس كل إنقاذ صاخب...

بعضه مجرد شخص لا يهرب منك.

<u>الفصل التاسع:</u>

هدنة مؤقتة

تحسّن قليلًا.

لم يختفِ الألم... لكنه خفّ صوته.

كأن الحياة منحت له استراحة قصيرة قبل الجولة التالية.

لكن في داخله كان يعرف:

الهدوء عنده ليس استقرارًا... بل تأجيل.

<u>الفصل العاشر:</u>

لحظة الانكسار

حدث شيء لم يفهمه تمامًا.

خوف مفاجئ.

تشوش.

إحساس أن كل شيء غير آمن.

وفي لحظة واحدة، تحوّل ردّ فعله إلى شيء لم يعد يشبهه.
خرج من المكان وهو لا يناقش نفسه… بل ينجو منها.

<u>الفصل الحادي عشر:</u>
المحاولة

حاول أن يبدأ من جديد.
مشروع صغير. فكرة بسيطة.
إثبات أنه ما زال قادرًا على البناء.
لكن النفس المتعبة لا تبني بسهولة.
فشل المشروع… لكن الفشل الحقيقي كان في تفسيره لنفسه:
"أنت تعرف أنك لا تصلح".

<u>الفصل الثاني عشر:</u>
العودة إلى الدائرة

عاد للصحبة القديمة.
ليس لأنه يريدها...
بل لأنه لا يحتمل الفراغ.
أحيانًا الإنسان لا يختار الأسوأ لأنه يحبه...
بل لأنه مألوف.

<u>الفصل الثالث عشر:</u>

الغضب الذي يشبه الألم

لم يكن يكره عائلته.
كان يكره عجزه أمامهم.
كل صمت بينه وبينهم كان اتساعًا جديدًا في المسافة.
حتى صار لا يميّز بين الهروب... والاختفاء.

<u>الفصل الرابع عشر:</u>

الوعي القاسي

كبر... لكن ليس بطريقة جميلة.
صار يرى كل شيء بوضوح زائد عن الحد.
يفهم نفسه... لكن هذا الفهم لا يريحه.
بل يعرّيه أكثر.
أخطر ما في الوعي...
أنه لا يتركك تختبئ من نفسك.

<u>الفصل الخامس عشر:</u>

البقاء

لم يصبح بطلًا.
ولم يتحول إلى نسخة مثالية.
بقي فيه شيء مكسور.

وشيء يحاول أن يقاوم.
لكنّه بقي.
وهذا وحده... شكل من أشكال النجاة.
جلس وحده ذات ليلة، واستمع للصمت دون أن ينهار.
ثم فهم شيئًا بسيطًا:
ليس مطلوبًا أن يكون كاملًا...
يكفي أن لا يتوقف.

الفصل السادس عشر:

حربٌ لا يراها أحد

لم أكن أحارب الناس.
كنت أحارب شيئًا يسكن خلف أعينهم.
شيئًا لا اسم له.
في البداية ظننته حزنًا. ثم ظننته خوفًا. ثم اكتشفت أن كل اسم أعطيه له كان مجرد قناع.
كان المرض أذكى من أن يُعرَّف.
كلما اقتربت من فهمه... غيّر شكله.
مرةً بدا كاكتئابٍ يأكل الأيام. ومرةً كقلقٍ يوقظ القلب في منتصف الليل. ومرةً كصوتٍ خافتٍ يقول:
"لن تنجو".
لكن أكثر ما أرعبني...
أن بعض الأمراض لا تقتل الجسد.
بل تقتل المعنى.

الفصل السابع عشر:
غرفة العلاج الفارغة

وجدت بابًا قديمًا داخل عقلي.
خلفه غرفة بيضاء.
في وسطها كرسي واحد.
جلست عليه.
انتظرت الطبيب.
انتظرت ساعات.
أيامًا.
سنوات.
لكن لم يأتِ أحد.
وعندما نظرت إلى المرآة المقابلة...
رأيت الطبيب جالسًا هناك.
كان أنا.
حينها فهمت شيئًا مرعبًا:
بعض الجروح لا تحتاج من يعالجها.
بل تحتاج من يواجها.
لكن المواجهة كانت أصعب من المرض نفسه.

الفصل الثامن عشر:

أرشيف الظلال

كل إنسان يحمل أرشيفًا سريًا.
ذكريات. ندم. أخطاء. وجوه رحلت.
لكن أرشيفي كان مختلفًا.
كلما فتحت ملفًا...
وجدت ملفًا تحته.
ثم آخر.
ثم آخر.
حتى وصلت إلى ذكرى لم أعشها أصلًا.
رأيت نفسي أقف في مكانٍ لم أزره.
أتحدث مع أشخاصٍ لا أعرفهم.
وأبكي على أشياء لم تحدث.
عندها بدأت أشك...
هل الذاكرة تحفظ الماضي؟
أم تصنعه؟

الفصل التاسع عشر:

الكائن الذي خلف الوعي

في أعمق نقطة داخل العقل...
لا يوجد فراغ.
يوجد شيء.

شيء يراقب.
ليس ملاكًا. وليس شيطانًا.
بل شاهدٌ صامت.
كلما حاولت الهروب منه...
وجدته ينتظرني في النهاية.
كان يعرف كل أسراري.
كل أفكاري.
كل الأكاذيب التي قلتها لنفسي.
وفي إحدى الليالي سألته:
"من أنت؟"
فأجاب:
"أنا الحقيقة التي قضيت عمرك تهرب منها".
ومنذ تلك اللحظة...
لم أنم كما كنت أنام.

الفصل العشرون:

<u>ويبقى القليل من أثره</u>

في النهاية...
لم أعد أسمع الأصوات كما كانت.
لم تعد الجدران تضيق.
ولم يعد الليل يبدو كقبرٍ مفتوح.
بعد سنواتٍ من السقوط والعودة... من الحروب التي لم يرها أحد...

من المعارك التي كانت تدور داخل رأسي بينما يظن الجميع أنني بخير...

بدأ المرض يتراجع.

ببطء.

كما يتراجع الضباب عن مدينةٍ مهجورة.

لم يرحل فجأة.

ولم يعتذر.

فالأمراض النفسية لا تودع أصحابها.

إنها تترك آثار أصابعها على الروح وتمضي.

تعلمت أن العلاج لم يكن دواءً فقط.

بل مواجهة.

ومعرفة.

وصبرًا طويلًا على نفسي.

تعلمت أن العقل يمكن أن يتحول إلى عدوٍ مرعب عندما تتركه وحيدًا في الظلام.

وتعلمت أيضًا...

أنه يستطيع أن يصبح أعظم حليفٍ لك عندما تفهمه.

كنت أعتقد أن الشفاء يعني العودة كما كنت.

لكنني كنت مخطئًا.

لا أحد يعود كما كان بعد أن يعبر الجحيم.

يخرج مختلفًا.

أقوى في أماكن. وأضعف في أماكن أخرى.

لكن أكثر حقيقة أخافتني...

أن بعض آثار المرض بقيت.
بقايا صغيرة.
كندوبٍ لا يراها أحد.
أيام يعود فيها القلق لزيارة عابرة.
أحلام قديمة تطرق الباب أحيانًا.
ذكريات ما زالت تملك القدرة على إيلامي.
لكنها لم تعد تسيطر علي.
أصبحت مجرد أشباح بعيدة.
وفي إحدى الليالي...
جلست وحدي أتأمل السقف.
ثم تذكرت كل النسخ التي متت داخلي.
الطفل الخائف.
المراهق الغاضب.
الشخص الذي كاد يستسلم.
والشخص الذي ظن أن النهاية اقتربت.
ابتسمت لأول مرة.
ليس لأن حياتي أصبحت مثالية.
بل لأنني نجوت.
نجوت من نفسي.
نجوت من أفكاري.
نجوت من ذلك الظلام الذي أقنعني يومًا أن لا مخرج منه.
أغلقت الدفتر.
وضعت القلم.

ونظرت إلى النافذة.
كان الفجر يصعد ببطء فوق المدينة.
ولأول مرة منذ سنوات...
لم أشعر أنني أهرب من شيء.
وفي الصفحة الأخيرة كُتبت جملة واحدة:
"بعض المعارك لا تنتهي بالنصر الكامل...
بل بأن تبقى واقفًا بعد كل ما حدث".
انتهت لعنة الوعي... وبقي أثرها فقط.

الخاتمة

أنا أحمد.
لست بريئًا... ولست وحشًا.
أنا نتيجة طريق طويل من الفهم المتأخر، والقرارات المشوشة، والبحث عن شيء يشبه النجاة حتى لو كان خاطئًا.
أخطأت... نعم.
لكنني كنت أبحث عن نفسي داخل أخطائي.
والآن أفهم شيئًا أخيرًا:
أن أخطر أنواع الألم... ليس ما يحدث لنا.
بل ما نصدقه عن أنفسنا بعده.
ولعنة الوعي...
ليست أن ترى الحقيقة.
بل أن تراها وحدك... وبشكل لا يمكنك تجاهله....

(والعقل نعمة حتى يقرر أن يصبح عدوك." أو "لعنة الوعي ليست أن ترى الحقيقة... بل أن تراها أكثر مما ينبغي".)